مجلة أبعاد
ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلد 07 (عدد 02) – 31 ديسمبر 2020

فلسفة الفعل وإشكالية التنمية في الوطن العربي

The philosophy of action and the development problems in the Arab world

بوفلجة غيات*[1]
ghiat_boufelja@yahoo.fr
[1]. كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2، محمد بن أحمد، الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2020/05/15 | تاريخ القبول: 2020/11/02 | تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص:
تعاني المجتمعات العربية من تخلف يشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وقد ساعدت عدّة عوامل في إنتاج هذا التخلف، وهو ما يتطلب من الفلاسفة والباحثين الاجتماعيين محاولة التعرف على مسبباته. إن المتأمل في هذا الواقع، يجب أن من أسباب ذلك كثرة الكلام ونقص التنفيذ. كما أن ذلك مرتبط بالفلسفة السائدة في المجتمعات العربية التي تعتمد على الحوار والمناقشة أكثر مع تعتمد أساليب إجرائية ونفعية والتحرك لتجسيد الأهداف، كما هو الحال بالنسبة للفلسفة الغربية. لذا فإن أي تنمية اجتماعية واقتصادية تتطلب التركيز على الفعل وعلى اعتماد فلسفة إجرائية ونفعية تساعد على الخروج من التخلف المتعدد الأوجه الذي تعرفه المجتمعات العربية.

الكلمات المفتاحية: التخلف؛ التنمية؛ فلسفة الفعل؛ البرغماتية؛ الأداء.

Abstract: Arab societies suffer from backwardness that encompasses social, cultural, and economic aspects, and several factors have helped to produce this backwardness, which requires philosophers and social researchers to try to identify its causes. The reason for this must be the lack of speech and lack of implementation. This is also linked to the philosophy prevailing in Arab societies that rely more on dialogue and discussion with procedural and utilitarian methods and action to embody objectives, as in western philosophy. Therefore, any social and economic development requires a focus on action and on the adoption of a procedural and utilitarian philosophy that helps to break out of the multifaceted underdevelopment that Arab societies are known for.

* المؤلف المرسل

Keywords: Underdevelopment; development; philosophy of action; pragmatism; performance.

مقدمة:

إن ما يعرفه الفرد العامي عن الفلسفة، هو ابتعادها عن الواقع وغوصها في الجوانب النظرية كخلق الوجود والعدل والحق والأخلاق والفضيلة، وغيرها من المجالات النظرية التي تسلح في خيال ما بعد الطبيعة، والتي نادرا ما نجد لها تطبيقات ميدانية مفيدة في حياة الأفراد، أو هكذا يعتقدون، وهو ما أبعد أفراد المجتمع من شباب ومثقفين عن الفلسفة وذلك لتعاليها عن المجتمع، وعدم نزولها إليه لإضاءة طريقه، والمساهمة في تنوير مشاكله اليومية. ففقدوا ثقتهم بأهميتها وفائدتها في حياتهم اليومية.

تعيش المجتمعات العربية مجموعة من المشاكل المعقدة والمتشابكة، مما يتطلب حلولا نظرية وتطبيقية، تساهم في فك تداخلات الأزمات وتنير الطريق وترشد إلى سبل الخلاص منها.

إن التنمية بوسائلها وإمكانياتها وشروطها وما تتطلبه من وسائل وإمكانيات مادية وبشرية، هي نتاج فلسفة واضحة. أول محرك لهذه العملية الطويلة والصعبة هو مفهوم الفعل والحركة والنشاط. لم يعد الفعل كلمة عابرة، كما يفهمها عامة الناس، بل أصبح نظرية فلسفية، عمل كثير من الفلاسفة والعلماء إلى تحليلها وتنظيرها، وغرس الحياة فيها، وبالتالي غرست الحياة في المجتمعات الغربية.

من هنا كانت فلسفة الفعل عملية مهمة وضرورية في أي جهد تنموي. وقد تخلفت الشعوب العربية والإسلامية بسبب إهمالها لموضوع الفعل، وما يتطلبه من نشاط وحيوية وعمل، وانضباط وصرامة في الإنجاز.

فما مفهوم فلسفة الفعل، وما علاقته بالفلسفة العالمية المعاصرة؟ وما دور الفعل في إطلاق حركة من النشاط والعمل الإيجابي وفعالية الإنجاز؟ وما هي أهم أسباب تعطيل عملية التنمية بالوطن العربي؟ وما دور المفكرين المسلمين في تأكيد فلسفة الفعل؟ وهي جوانب نتطرق لها من خلال هذا البحث.

مفهوم الفعل وأهميته:

من أهم ما يميز الحيوان عن الجماد هو الحياة والقدرة على الحركة والقيام بالفعل. كما يتميز الإنسان عن الحيوان بالقدرة على العمل الهادف، بتنوعه وتشعبه ومجالاته

وما يتميز به من بعد ثقافي وحضاري.

فالفعل معناه النشاط والتحرك والحيوية والتصرف (Mouvement، Action, Act, Activité)، وهي من حيّ وحياة، وقد يكون للحركة معنى العمل أيضا، إذا كان بمقابل مادي أو معنوي، أو مقابل فائدة يجنيها الفر د من فعله ونشاطه.

والفعل في الفلسفة يقدم كمرادف للعمل، و"يدلّ بنوع خاص على العمل الإرادي والخلقي. ومن هنا قولهم (فلسفة العمل) (Phil. de l'action) للدلالة على المذاهب التي تقدّم الإرادة على العقل: المذهب الإنساني والمذهب البرجماتي"[1]. ويرى أبو حامد الغزالي أيضا، أن "الفعل الحقيقي يكون بالإرادة"[2].

وقد فضل الله تعالى العاملين على القاعدين، وربط الإيمان بالعمل، وفي ذلك آيات كريمة وأحاديث متعدّدة، حيث قال تعالى:

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا﴾[3].
- ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[4].
- ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا ﴾[5].

وقوله صلى الله عليه وسلّم: "لا يقبل إيمان بلا عمل ولا عمل بدون إيمان"[6].

وغيرها من الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة في نفس المعنى.

هناك ارتباط بين الفعل والعمل. نجد في المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، أن "العمل والفعل مترادفان، غير أن العمل أخصّ والفعل أعمّ، ولا يُقال العمل إلا فيما كان عن فكر وروية، ولهذا قرن بالعلم، حتى قال بعض الأدباء، قلِب لفظ العمل عن لفظ العِلم تنبيها على أنه من مقتضاه. والفعل (Act) يكون من غير بطء. بعكس العمل الذي يحتاج إلى امتداد زمان"[7].

مستوى الفعل وطبيعته:

[1] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1979، ط 3، ص: 289.
[2] أبي حامد الغزالي، المعيار، ص 101.
[3] سورة الكهف/ 105.
[4] سورة التوبة/ 30.
[5] سورة الزلزلة/ 8،9.
[6] رواه الطبراني.
[7] عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000. ص 565.

إن الفعل مفهوم مركزي، وهو عكس الجمود القعود والكسل والتهاون والتقاعس، وما لذلك من مترادفات، تدلّ كلّها على البعد السلبي لموضوع الفعل. كلّما زادت قوّة الفعل والجهد المبذول فيه، أصبح اجتهادا وتفانيا، وكلما نقص صار تكاسلا وتقاعسا وتهاونا، وكلما كان الفعل متقنا أصبح فعالية.

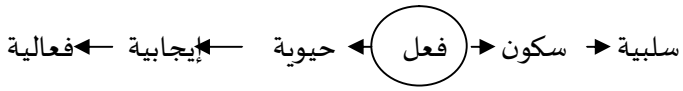

شكل 1: اتجاهات الفعل.

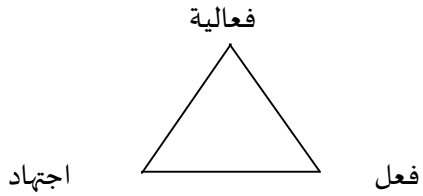

شكل 2: مظاهر الفعل.

وبالتالي، فإن الفعل عنصر محوري لإثبات الفرد أو المجتمع لنفسه، وبالتالي إحداث التغير والتطوّر وتحقيق التنمية بكل أوجهها الفكرية والعلمية والسياسية والاقتصادية. من هنا يجب ربط المفهومين، أي الفعل والفعالية، وهي عوامل تؤدي إلى التقدم والتطوّر. وليس غريبا ارتباط كلمة فعل بمفهوم آخر ذا دلالة إيجابية وهو الفعالية، والفاعلية، والفعّال. فمفهوم الفعالية أي (Efficacité) بالفرنسية، و(Effectiveness) بالإنجليزية، ومعناها القيام بفعل أو تصرّف أو إنجاز مهمة، بطريقة خالية من الخطأ، من حيث التخطيط والإنجاز والنتائج المحصل عليها، شرط أن تكون النتائج جيّدة، وبأدنى تكلفة وبأقل جهد وفي أقل وقت ممكن[1].

أما عوامل التخلف فهي اعتماد أشكال مناقضة، وتتمثل في اللا عمل والجمود، أي التكاسل، والتقاعس عن العمل، وعدم الفعالية، إلى جانب الفعل والفعالية، ومن أجل إثبات ذاته، على الفرد أن يكون إيجابيا في تفاعله مع الأحداث، أي أن يبادر بالفعل، بينما يتميز اللا فعل بالسلبية والجمود.

[1] غيات بوفلجة، التربية وتفعيل الدور الحضاري للشباب الإسلامي، الشباب وبناء المستقبل (الندوة العالمية للشباب الإسلامي (فعاليات المؤتمر العالمي العاشر)، القاهرة، 21 – 23 نوفمبر (2006)، ص 24.

خصائص الفلسفة السفسطائية وأسباب التخلف في الوطن العربي:

من أسباب تخلف العرب والمسلمين عموما، إهمال موضوع الفعل، والمبادرة والإبداع والتجديد، وهو ما أدّى إلى الركون إلى التهاون والتكاسل واعتماد التصوّف والزهد والقناعة والابتعاد عن الحياة، وإيقاف عمليات الاجتهاد، والبحث العلمي الجاد.

يرى البخاري حمانة "أن العرب عادة ما يقدّمون على أنهم منشغلون بالكلمة على حساب الفعل"[1]، وفي ذلك كثير من الحقيقة، ذلك أن كثيرا من الفلاسفة العرب يركزون على الأبعاد الأدبية والبلاغية والإبداعية في النصوص، أكثر من اهتمامهم بالفائدة التي يمكن جنيها من وراء تلك النصوص والأفكار.

وهكذا، فإن الفلسفة التقليدية العقيمة، هي عادة وراء تخلف الأمم والشعوب العربية والإسلامية. ورغم جهود الحركات الإصلاحية في مختلف مناطق العالم العربي، كانت نتيجتها الإستقلال السياسي لغالبية الدول العربية، إلا أن الأجيال اللاحقة من الفلاسفة والمثقفين فشلوا في إنتاج فلسفة للفعل والتنمية. وهكذا عانت الشعوب العربية من الإحتلال، التخلف والتبعية. وقد ظهرت مفاهيم معاصرة، نجد من أهمها "العولمة" التي وضعت دون مشاركتنا، بل على حسابنا. أما نحن فقد فشلنا حتى في إنتاج ووضع المصطلحات العلمية والمفاهيم الفلسفية.

وهكذا نجد كثيرا من الفلاسفة يمارسون الغوص في أفكار تعجيزية معقدة، حتى أصبح وكأن الأفكار الأكثر بعدا عن الواقع، والأكثر تعقدا، هي الفلسفة الحقيقية. وهكذا ظهر البحث في خلق الله تعالى وصفاته، في حين كان من الأولى التركيز على الفعل والإنجاز، والمساهمة في إيجاد حلول واقعية للمشاكل المطروحة.

إن ابتعاد كثير من الفلاسفة عن الحياة بمشاكلها وصعوباتها وإهمال التطرق إلى أهمية وحلاوة العمل والإنجاز، وهو ما ساهم في تعميق التخلف والأزمات في المجتمعات العربية.

---

[1]. BOUKHARI Hamana, La Pensée de Ch. S. Peirce dans le Monde Arabe d' Aujourd'hui. Revue Algérienne de Philisophie, n°. 1, 1997, p. 21.

مع ذلك لا يمكن نفي وجود محاولات جدّية لإيجاد فلسفة عملية، متأثرة بالاتجاهات البراجماتية والنفعية الغربية. وقد بدأ الوعي بضرورة التغيير والتجديد، مع تفاقم المشاكل الاجتماعية وتخبط الفلسفة التقليدية في مناقشات وحوارات فكرية عقيمة.

الفلسفة الغربية ودورها في تطوّر مجتمعاتها:

من أهم عوامل تطوّر الحضارة الغربية، ظهور نظريات فلسفية، ساهمت في إيجاد نظرية للمعرفة، وتحرير العقل الغربي من جموده، ومناهجه العقيمة غير المجدية.

من هذه النظريات، نجد النظرية البراجماتية، وهي من اللفظ اليوناني (Pragma) أي عمل، وتجعل من العمل مبدأ مطلقا. ويؤرخ لظهور البرجماتية الفيلسوف الأمريكي وليام جمس من خلال محاضرة له ألقاها سنة 1898 تحت عنوان "المفاهيم الفلسفية والنتائج العلمية". وهو يلخصها قائلا: "إن تصورنا لموضوع ما هو تصورنا لِما قد ينتج عن هذا الموضوع من نتائج عملية لا أكثر"[1].

وهكذا، "تدرس الفلسفة العملية الواقع لا المجرّد، ويهتم الفيلسوف العملي (Pragmaist) بالمُدرك وليس بالمتصوّر، أي أنه يهتم بالأشياء ولا يحلق في فضاء"[2]

كما نجد الواقعية الإنجليزية الجديدة، حيث يدعو "رسل" "إلى ضرورة إعطاء الفلسفة صبغة علمية صرفة. إذ يجدر بالفلسفة في رأيه أن تستقي معاييرها وأحكامها الأساسية من علوم الطبيعة..."[3]. "وهو يؤاخذ على الفلسفة التقليدية وقوفها حتى الآن عند حدّ معالجة قضايا فكرية فارغة يستحيل علينا دراستها دراسة علمية"[4]. "ويستطرد "رسل" قائلا، أن "هذه ليست هي مهمة الفلسفة بل أن مهمتها تنحصر في تمهيد الطريق أمام العلم، فلا بدّ إذن من الإسراع بتنقية الفلسفة من جميع النزاعات الرومنطيقية والغيبية التي تزخر بها"[5]. حيث يرى أنه "علينا أن ندعوها (الفلسفة) بدلا من هذا العبث

---

[1]. عبد المنعم الحفني، مرجع سابق، ص 150.

[2]. المرجع نفسه، 150.

[3]. بوخينسكي (1389 هـ) تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا (ترجمة) محمد عبد الكريم الوافي، (طرابلس "ليبيا": مؤسسة الفرجاني) ص 95.

[4]. بوخينسكي، المرجع نفسه، ص 95.

[5]. بوخينسكي، المرجع نفسه، ص 95.

إلى التفرّغ لمعالجة المشاكل التي تعرض لنا في حياتنا الواقعة، وذلك عن طريق تحليل تلك المشاكل تحليلا دقيقا"[1].

وقد ساهمت الفلسفة البرجماتية الأنجلو. أمريكية، في تدعيم نجاح الحضارة المادية الغربية، و"إرجاع ما هو حقيقي إلى ما هو مفيد"، حيث أن البرجماتيين "جعلوا من الفائدة والنجاح والقيمة، المعايير الوحيدة للحقيقة والأصول الإنسانية لها"[2].

وهكذا، يرى بيرس (Peirce) أن الفكرة ليست موضوعا للفكر، بل هي خطة، ودعوة للنشاط[3]. حيث أن "البرجماتية الأنجلو. أمريكية ليست مجرّد نظرية محضة في المعرفة، بل هي في الغالب فلسفة في الحياة (...) والحقيقة في رأي هذه البرجماتية ليست جمودا بل حركة..."[4].

من هنا نستنتج سيطرة المذهب النفعي في الفلسفة الغربية (Utilitarianism) ويقوّم الأفعال بمقدار ما تنتجه من منافع[5].

مع ذلك، ورغم النجاح الذي حققته في المجالات العلمية والتكنولوجية والاقتصادية، إلا أنه لا يمكن اعتبار النموذج الغربي، أو بالأحرى النموذج الأمريكي في الفلسفة رمزا للكمال. إذ أنه يعاني من نقائص، منها ممارسات الولايات المتحدة الأمريكية مع الدول الفقيرة، وحروبها في مختلف بقاع العالم، والإخلال بحقوق الإنسان في غوانتنامو وأبو غريب...، وإيجاد القلاقل في مختلف دول العالم، كما هو الحال في دارفور ودول إفريقيا، دفاعها عن مصالحها ومناطق نفوذها، والوقوف في وجه الحق الفلسطيني إلى جانب المعتدين الإسرائيليين. وهو ما يوضح وجود خلل في الفلسفة الغربية، وفي ممارساتها على الأقل.

فلسفة الفعل عند المفكرين المسلمين:

لقد كان الفعل أحد أهم سمات العقيدة الإسلامية، وما انبثق عنها من فلسفة، وهو ما أدى إلى ازدهار العرب والمسلمين في عصورهم الأولى فتطوّروا وازدهروا، ولازالت كثير

---

[1]. بوخينسكي، المرجع نفسه، ص 96.
[2]. بوخينسكي، مرجع سابق، ص 187.
[3]. BOUKHARI Hamana, Ibid, p. 20.
[4]. بوخينسكي، مرجع سابق، ص 187.
[5]. عبد المنعم الحفني، مرجع سابق، ص 783.

من مآثرهم تشهد على ذلك.

إلا أن التخلف بدأ مع إهمال الفعل، فانعكف المسؤولون والعلماء على أنفسهم، وبدأت الصراعات الداخلية التي جلبت أطماع الأجانب إليهم، وهوانهم على أعدائهم. ورغم استقلالهم السياسي، إلا أن التطوّر والتقدم، يبقى من مهمة الفلاسفة والمفكرين والمسؤولين السياسيين، وهو ما فشلوا في تحقيقه لحدّ الآن.

وقد اتخذ بعض الفقهاء والفلاسفة الإسلام حجة للتزمت أو التطرف في الفكر. في حين أن الإسلام مرن متفتح في إطار ضوابط. وكلها تتماشى مع حرية الفكر وسلطة العلم والعمل والفعالية والفائدة والمنفعة. وهو يدعو إلى عدم إضاعة الوقت والجهد والمال فيما لا ينفع، إذ أن الإسلام دين علم وعمل.

رغم التخلف الذي أطبق على مختلف أقطاب الأمة الإسلامية، إلا أن الأزمة تولد الهمة، حيث عرف العالم الإسلامي ظهور مجموعة من العلماء المصلحين، خلال القرن التاسع عشر، والذين عملوا على استنهاض الهمم ودفع المسلمين إلى الانتفاضة والتحرر والتيقظ، وتوعية الشعوب بأن التخلف ليس قدرا محتوما عليهم، بل يمكنهم الخروج عنه ومحاربة الاستبداد، والعمل على تغيير وضعياتهم، عملا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1].

وهكذا ظهر قادة جاهدوا في تغيير الأمور، فبعضهم رفع سيفه لمحاربة المحتلين، كالأمير عبد القادر، الذي حارب المحتل الفرنسي في الجزائر، وعمر المختار الذي حارب الاستعمار الإيطالي في لسبيا، وآخرون كثيرون.

كما جاهد آخرون بالكلمة والقلم، حيث نجد كلا من الحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، وابن باديس، وغيرهم من العلماء والحركات الإصلاحية بالعالم الإسلامي.

أما في المجال الفكري والفلسفي، فهناك فلاسفة ومفكرون يعملون على استنهاض الهمم والسعي لشحذ العزائم، من أجل تحريك المجتمع العربي نحو النهضة والتنمية والرقي. إلا أنهم لم يتمكنوا من إيجاد تيار فلسفي قوي، وبالتالي كانت نتائجهم محدودة، ولم يتمكنوا من إيقاظ مجتمع يغوص في نوم عميق، وكتاباتهم كأنها صيحة في واد.

[1]. سورة الرّعد/ 16.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد زكي محمود، الذي يرى أن التغير يحدث في حياتنا العربية، لو أننا قبل النطق بأي كلمة، وبكل كلام، وبأدنى فكرة، نتساءل، ما الفائدة (الأخلاقية أو المادية) التي سنحققها؟ إذ بهذه الطريقة، فإن كل الكلام الذي لا يحمل فائدة، كل الأفكار المجرّدة والعقيمة تختفي من مجالنا الثقافي والاجتماعي[1].

من الباحثين أيضا في موضوع الثقافة والحضارة، المفكر الإسلامي مالك بن نبي، والذي رأى بأن الاستعمار هو نتيجة لتخلف الشعوب المُحتلّة، وأتى بمفهوم "القابلية للاستعمار". كما قام بتحليل دقيق لواقع العالم الإسلامي وأسباب تخلفه، وقدم أفكار في مناهج الصحوة والتنمية في كل المجالات الفكرية والاقتصادية والثقافية والحضارية[2].

هناك علماء آخرون وباحثون، يعملون على توعية الشعوب الإسلامية، من أجل تبني فلسفة الفعل واعتماد العلم والعمل من أجل الخروج من حلقة التخلف، ومواجهة التحديات العالمية المعاصرة.

خصائص فلسفة مركزة على الفعل والمنفعة:

إن فشل النظريات الفلسفية السائدة في الوطن العربي، من إنقاذ الأمة من تخلفها الفكري والمادي، أدى إلى الحاجة إلى مراجعة النظريات والأفكار الفلسفية المطروحة في الساحة العربية.

وهنا تبقى مسؤولية المفكرين والفلاسفة المعاصرين مراجعة الإرث الفلسفي الذي تزخر به حضارتنا، من أجل إيجاد مدرسة فلسفية معاصرة متناسقة مع الواقع، ذات فائدة عملية وتطبيقية، بعيدة عن الخيال والسفسطة والتجريد وما وراء الميتافيزيقا، التي لم تعد تجدِ نفعا.

هناك نظرة عامة بعدم الرضا إلى هذا الواقع الذي أصبح محزنا. لهذا نحن في حاجة ملحة إلى تحليل نقدي معمق للواقع، وتمحيص الفكر الفلسفي العربي، والإيديولوجيات المتبعة في المجالات الثقافية والتنموية. ذلك أنه على الفلسفة أن تحمل هموم المواطن البسيط وهموم الأمة، والمساهمة في محو صدأ التخلف العقلي والإقتصادي والحضاري لهذه الأمة.

---

[1]. زكي محمود، ثقافتنا في مواجهة القرن، مكتبة الشروق، بيروت، 1979، ص 44.
[2]. مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1987، ط 3.

وهو ما يتطلب إعادة صياغة فلسفة جديدة مبنية على العقيدة والأخلاق، إذ لا نجاح لأي فلسفة مبنية على الإلحاد والقيم المادية الدخيلة على حضارتنا في المجتمعات العربية الإسلامية. بحيث تكون نظرة منسجمة متكاملة بين الروحي والثقافي والاقتصادي والتربوي. مساءلة الإرث الفلسفي والفكري، من مفاهيم ونظريات بطريقة تمحيصية نقدية جديدة، وإعادة صياغتها وتنظيمها وكتابتها بما يتماشى مع الظروف والمستحدثات ومتطلبات العصر.

كما يجب إعادة النظر في الأدوات المنهجية، من طبيعة الأهداف المدروسة وإشكالياتها والتساؤلات المطروحة وفرضيات البحوث، وأساليب التحليل ومعاييره، وطرائق التحرير والمناقشة، للوصول إلى النتائج المتوخاة.

وهكذا، نحن في حاجة إلى التأسيس لفلسفة عربية إسلامية للفعل مبنية من تراثنا الحضاري، وما يحتويه من قيم إيجابية وفعالة، آخذين بعين الاعتبار، كلّ ما يمكن الاستفادة منه من الفلسفة الغربية المعاصرة. فلسفة متفتحة على الحياة مبنية على العقيدة والأخلاق. بحيث تكون فلسفة النجاح والسمو إلى الأحسن، التفاؤل بغد أفضل، وفك أسر العقل العربي وإخراجه من قوقعته وجموده، وإثبات النفس وعدم البقاء عالة على الحضارات الإنسانية الأخرى.

كل ذلك يجب أن يخدم المجتمع، ويساهم في إيجاد حلول لمشاكله، الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والتقنية والسياسية والحضارية مباشرة، بحيث تكون لها نتائج عملية وانعكاسات على وعي المجتمع ورخائه.

فلسفة الفعل كمدخل للتنمية في الوطن العربي:

إن الفلسفة عموما هي وليدة أجواء، وهي في الوطن العربي مرتبطة بمحيط متخلف، وهناك رغبة عامة في الخروج من حلقة التخلف. وبالتالي هناك حاجة إلى فلسفة تخدم هذا المسعى، من أجل تسهيل عملية التنمية. وهو هدف يجب أن يكون شغلا شاغلا للفلاسفة على الخصوص، إلى جانب المثقفين والعلماء، والباحثين والسياسيين، والمصلحين وعلماء الدين.

إن الفشل الاقتصادي والحضاري، هو فشل في إيجاد فلسفة للفعل والفعالية، لمواجهة الفلسفات الغربية المعاصرة.

وقد تمكنت الحضارة الغربية، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، من

اعتماد الفلسفة البرجماتية، النفعية، والمذهب البروتستنتي، مما ساهم في تطوير الغرب، وإخراجه نهائيا من دائرة الأزمات المادية.

أما معايير النجاح التي نريدها في مجتمعاتنا، فهي مدى إمكانيتها وقدرتها على دفع عجلة التغيير، والسموّ بالمجتمع إلى الأفضل، والمساهمة في إخراجه من التخلف المتعدد الجوانب والأوجه، في مختلف المجالات، والقدرة على تحريك الأفراد ودفعهم إلى العمل والنشاط، وبذل الجهود واستغلال الإمكانيات المتوفرة، من أجل اللحاق بركب الحضارة العالمية المعاصرة. وقد يكون بالإمكان تجاوزها لما يتميز به الإسلام من قيم حضارية سامية غير مستغلة وغير مسخرة.

يجب الانتقال بالفلسفة من اعتبارها مفهوما أدبيا وفنيا، كمجال للتلاعب بالمفاهيم والمصطلحات دون فائدة عملية، إلى اعتبارها مفهوما علميا وإجرائيا، يساهم في منح الفلسفة دورا إيجابيا في حلّ مشاكل الفرد، ومعالجة انشغالات المجتمع، بل الأمة والحضارة ككلّ. وهو ما يمنح الفلسفة دورا فعالا، يمكنها من انتزاع مكانتها واعتراف المجتمع بأهميتها، في عصر يطغى عليه الاهتمام بالجوانب المادية والنفعية، على حساب القضايا الفكرية والإنسانية.

على الفلسفة أن لا تتخلى عن مهامها الأساسية، إذ أن المجتمع المعاصر في حاجة إلى فلسفة جديدة من حيث مواضيع الاهتمام ومناهج طرح مختلف القضايا المدروسة. كما يجب أن تكون الفلسفة إيجابية متفتحة على الواقع، بإمكانها التعامل مع التغيرات والتحدّيات الفلسفية والإديولوجية والسياسية والاقتصادية والفكرية والعلمية والتكنولوجية، وهي مجالات بإمكان الفلسفة المساهمة فيها بفعالية.

ونحن في حاجة إلى إعادة صياغة الفلسفة بحيث تصبح مدعمة للفعل، تربط الوعي بالتصرف والتطور من أجل التنمية. وهو ما يتطلّب منا بلورة فلسفة الفعل في الوطن العربي والإسلامي، كفكرة محرّكة تدفع إلى المبادرة والعمل والإيجابية في التعامل مع الأحداث، واعتماد منطق المبادرة للتغيير، وعدم انتظار وقوع الأحداث للاستجابة لها وتحليلها، والعمل على فهمها والتكيف معها. ذلك أن الفلسفة يجب أن تكون قاطرة توضح معالم الطريق نحو المستقبل، من خلال منطق عملي وفعال.

خاتمة:

لقد عانى العرب كثيرا من التخلف، ويئسوا من الحوارات الفلسفية التي لا طائل من ورائها. وقد حان الأوان للفلاسفة العرب والمسلمين استخلاص الدروس من النظريات الفلسفية الغربية التي ساهمت في تطوير مجتمعاتها، والتخلي عن النقشات البيزنطية والنظريات الفلسفية السفسطائية، والعمل على مسح الغبار عن العقل العربي، وفكه من قيوده وعوائقه، من خلال إيجاد فلسفة عربية إسلامية للفعل، تزيل الصدى عن قيم سليمة وفعالة مشرقة في إرثنا الحضاري، يجب إبرازها وإعادة صياغتها في صورة نظريات فلسفية معاصرة تهدف إلى تدعيم الفعل والإيجابية والفعالية.

وبهذا يصبح الفعل نقطة محورية وفلسفة تساهم في انطلاق حركية جديدة من النشاط والحيوية والعمل الإيجابي وفعالية الإنجاز. وتصبح فلسفة الفعل، فلسفة الإيجابية والفعالية، أساسا لفلسفة سليمة في التنمية المستدامة.

المراجع

1. بوخينسكي تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوروبا (ترجمة) محمد عبد الكريم الوافي، (طرابلس "ليبيا": مؤسسة الفرجاني)، 1389 هـ.
2. زكي محمود، ثقافتنا في مواجهة القرن، مكتبة الشروق، بيروت، 1979.
3. عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000.
4. غيات بوفلجة التربية من أجل الفعالية. (وهران: دار الغرب)، 2003.
5. غيات بوفلجة، التربية وتفعيل الدور الحضاري للشباب الإسلامي، الشباب وبناء المستقبل (الندوة العالمية للشباب الإسلامي (فعاليات المؤتمر العالمي العاشر)، القاهرة، 21 – 23 نوفمبر 2006.
6. غيات بوفلجة، فعالية التنظيمات: تشخيص وتطوير. (وهران: دار الغرب)، 2003.
7. مالك بن نبي، المسلم في عالم الإقتصاد (بيروت: دار الفكر المعاصر)، 1987، ط3.
8. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1979، ط 3.
9. BOUKHARI Hamana, La Pensée de Ch. S. Peirce dans le Monde Arabe d' Aujourd'hui. Revue Algérienne de Philisophie, n°. 1, 1997.